وفيت...!

بقلم محمد يوسف المحبوب

المدرس بمدرسة محمد على الملكية الأميرية للبنات

وفيتُ ، فما أغنَى وفائى ولا أجدَى ... وَصافيتُ مِن دُنياىَ مَن لَمْ يَصُنْ عَهْدَا!

وَضَحَّيْتُ ما ضحَّيْتُ جذلانَ ؛ علنَّى ... أرَى مِنْه قلباً مخلصاً يحفظ الودا

ولكننى لم أجْنِ - والهفَ أضلعى - ... سوى حسرة أوْرَتْ على كَبِدِى زَنْدَا!

لِىَ اللهُ ! كمْ سَهِدَتْ عَينِى لأجله ... ولم تَكُ عينى قَبْلَهُ تعرفُ السُّهْدَا

لِىَ اللهُ ! كمْ حمَّلت قلبى لأجلهِ ... عناء ، وقَدْ ما كان لا يعرفُ الوَجْدَا

لِىَ اللهُ ! كمْ أوْلَيْتُهُ ذاتَ مُهْجَتى ... فما بَالُهُ يذْكى بها النارَ والوقْدَا ؟

* * *

ألستُ الموالِى فيه سُهْدِى وأدْمعى ... أنُوءُ به عبئا ، وأعيا بها عَدًّا ؟

ألمْ يَأتِهِ أنّا طوَينا لأجْلِهِ ... رفاقاً ، وأنّا قد هجرناهُمُ عمدَا ؟

فما بالهُ ينسى وفائى ، ويَجْتَوِى ... إخائى ، وَما كَلَّفْتُهُ فى الهوى إدًّا ؟

وما بالهُ يمْضى بوَادِى ظُنُونِه ؟ ... وكم من ظُنُونٍ تورِثُ البغضَ والحقدا

أيجفُو ، وقد عاطيتُه خير ما اشتَهى ... من الوُدِّ حتّى عافَ من وِرْدِهِ الشَّهْدَا ؟

وفيتُ فما أغنى وفائى ولا أجدى ... وصافيتُ من دنياى من لم يصن عهدا!

* * *

أَيَنْ رَاءَنى يوماً صَموتاً مقطّباً ... يُفَزِّعُهُ صَمْتى ، فيوسِعُنى نقدَا ؟

ويزعم تقطيبي نُفوراً ؛ وما دَرَى هُمومَ ضلوعٍ بِتْنَ يوسِعْنَها هدّا
تَوالَتْ ، فآدَتْنى ، فلَمْ أرْضَ نَثْها وآثَرْتُ أنْ أحيَا (على رَغْمِها) طَوْدَا
وما المرءُ مَنْ يحيا شَكُوًّا بدهره بَلِ المرءُ مَنْ يحيا بِهِ ثابتاً جَلْدَا
فما بالُ خِلّى لم يُصابِرْ جَوانِحى ويَسْتأنِها حتى يَرى صَلْدَها يَنْدَى ؟
وما بالهُ قدْ ضاقَ ذَرْعاً بخطْبِها فولى نَفوراً غاضِباً ينثر العِقْدا ؟
يسلُّ ثيابى جاهِداً مِنْ ثيابِهِ وكنّا إذا نمشى نباهى بها بُرْدا !

***

رعى الله قلبى ؛ إنه صانَ ودَّه وآخى ، فما أعطى قليلا ولا أكْدى
وجازَى إلهى صاحبى بالذى ارْتَضى رَعينا وقد جافى ، وصَلْنا وقد صدّا
فلا تعذلانى اليوم عينىَّ بعد ما تَبَيَّنْتُما من أمرنا الغىَّ والرُّشْدا
ولا تسكبا دمعاً إذا رحْت أبْتغى لَدى النأى عن دنيا الهوى عيشةً رَغْدا
ولا تجزعا أنْ تبْصِرانى بجَوِّها وحيداً بلا خِلٍّ ، مقيما بها فرْدَا :
« وفيت فما أغنى وفائى ولا أجدى وصافيت من دنياى من لم يصن عهدا » !

محمد يوسف المحجوب